

جوائز ناجي نعمان الأدبية الهادفة
جائزة المتروبوليت نقولاًوس نعمان
للفضائل الإنسانية
٢٠٠٨

Prix Littéraires Ciblés Najî Naaman's Targetted Literary Prizes

Prix Métropolitaine Nicolas Naaman

pour les vertus humaines

2008

Archbishop Nicolas Naaman's Prize

for human virtue

وفاء عبد الرزاق

من مذكرات
طفل الحرب

دار نعمان للثقافة

www.naamanculture.com

Wafa' 'Abdur-Razzaq

Poète et femme écrivain. Née en Irak, vivant à Londres. Elle a à son actif plusieurs livres publiés (poèmes, contes et romans). Traduite en plusieurs langues, elle est lauréate du Prix Métropolitain Nicolas Naaman pour les vertus humaines (2008).

Poet and authoress. Born in Iraq, living in London. She has several printed books (poems, stories and novels). Translated into several languages, she is laureate of Archbishop Nicolas Naaman's Prize for human virtues (2008).

WAFa' 'ABDUR-RAZZAQ

MIN MUZAKKIRATI

TIFLIL HARB

مِنْ مُذَكَّرَاتِ طِفْلِ الْحَرْبِ

maison naaman pour la culture

الثقافة بالمجان

Ath-Thaqafa bil Majjan

Série littéraire gratuite établie et dirigée depuis 1991 par

Free of charge literary series established and directed since 1991 by

Naji Naaman

© Tous droits réservés – All rights reserved – Todos los derechos reservados

1^{ère} édition, février 2008

ألحقوق محفوظة ©

أطبعة الأولى، شباط ٢٠٠٨.

Le présent livre est gratuit. Les demandes de copies, commentaires des médias et réflexions personnelles sont reçus à l'adresse sous-mentionnée.

This is a free of charge book. Copies request, media comments and personal reflections are received at the under-mentioned address.

Este libro es gratuito. Las peticiones de copias, los comentarios y las reflexiones personales se reciben en la dirección abajo mencionada.

يُنَدْرَجُ هذا المؤلف في إطار سلسلة "الثقافة بالمجان" التي أنشأها ناجي نعمان عام ١٩٩١، وما زال يُشْرِفُ عليها.

دار نعمان للثقافة

Maison Naaman pour la Culture

P.O.Box 567 – Jounieh (Lebanon) – Fax and Phone: 00961 – 9 – 935096

Web site: www.naamanculture.com - E-mail: naamanculture@lynx.net.lb

وفاء عبد الرزاق

أديبة عراقية. من مواليد البصرة، مقيمة في لندن. عضو أكثر من اتحاد ومُنْتَدَى. لها كتاباتٌ عديدةٌ في الشعر والقصة والرواية. نُشِرَتْ لها كتبٌ عديدة، وُترجمت لها أخرى. سفيرةٌ لثقافة الطفل اليتيم في لندن. آخرُ الجوائز التي حازتها: جائزة المتروبوليت نقولاًوس نعمان للفضائل الإنسانية (٢٠٠٨).

وفاء عبد الرزاق، في *مذكراتها لطفل الحرب*، تحكي الطُفولةَ في أصعب ظروفها: الحرب! وهل أخبرُ من أطفال شرقنا الذي لا تغيبُ عنه الحربُ بمآسي هذه الأخيرة؟
تكتبُ، تُجَمِّلُ المَوْتَ، ترفعُ له الصَّلَاةَ، والقرايين، وهمُّها إنقاذُ الأطفال من عثرات الكبار، تلك التي لن نتجنَّبها سوى باتِّجاهنا، جميعاً، نحو الله. وكأنِّي بها، على خطى المتروبوليت نقولاًوس نعمان، تعملُ بالكلمة، والفعل، على نشرِ الفضائل الإنسانية بين بني البشر.

ناجي نعمان

الإهداء

المدينة تعترفُ: هذه الوجوه حوارٌ، وأنتَ المشتبهُ بهِ المُهيأُ
للسَّطو.

المشتبهُ بها، وفاء

١ البحرُ ليس طفلاً

١
أمدُّ رأسي من الجدار
(لأتذكَّرَ ما قالته الشَّجرة لأغصانها)^(١)
تسبقني رصاصةٌ تُشبهني تماماً
كلُّ شيءٍ يُصبحُ طفلاً
حتى الأطياف الرَّاحلة
تفردُ أمِّي ذراعَيْها
يخرجُ وجهي من جيبِ قلبها
ليسبقني إلى العتبة
لكنَّ الرِّصاصةَ تفتحُ عالمَ الحبرِ.

(١) تضمينٌ مقاربٌ لشعر أدونيس.

٢
لأنِّي أخافُ النَّومَ وحيداً
تذكَّرتُ قصصَ جدِّتي
التي علَّمتني أنْ أنسجَ قلبي أجنحةً
نفسي سَكْنِي، وصدري نافذة
وأخبرتني أنَّ الضَّوءَ
ليس له مزلاجٌ
لكنَّها لم تُخبرني أنَّ المستقبلَ مُسنَّنُ الحدِّ
كما لم تحك لي عن رياضة التَّزحلق على الجليد
كلُّ ما أتذكَّره منها:
إجلسُ بأدبٍ يا ولد، وامشِ مرفوعَ الرَّأسِ.

لا ياسمينَ في شرايينِ النَّهرِ
لا نهرَ في جيوبِ أولادِ الحارةِ
نظَّفتُ الأسبوعَ من أيَّامه
وكأنَّني أستجيبُ للضوءِ المَغسولِ
خرجتُ أغيطُ براعمَ تلعبُ الغمَّيضةُ
إنَّه اللُّعبُ... إنَّه اللُّعبُ
ألُّعبُ، يا أطفالِ
شقاوةٌ مُطخخةٌ بدشاديشكم

وعندَ تبادلِ الحوارِ
كانتِ جدَّتِي، مثلما لعبةٌ ضُغَطَ زرُّها
ألعبُ كثيرةٌ حولي، لربَّما لجَدَّاتِ أخرياتِ
وأنا أستمتعُ بدهشةِ عيونهنَّ
وأروي لهنَّ عن مغامرتي
في التَّرحلقِ ببركِ الدَّمِ.

٣

لستُ بحاجةٌ لأبٍ
كما لستُ بحاجةٌ لجمالِ الفصولِ
أو لأمِّ بردائها تفتحُ الدُّروبِ.
الدَّائرةُ كما تصويرها الجغرافيُّ
تكرهُ التَّحايا صباحاً
وتكرهُ أنْ أُدعى حلماً مثلاً
ممتنٌّ لها جدًّا
تلك الرِّصاصةُ التي
سنُصبحُ أسرتي القادمة
حقاً لستُ بحاجةٌ
إلا لمزاجِ الدَّويِّ.

٤

لا تُغلقوا أبوابكم
شجيَّ صوتي في خيبات القلب
وجميلٌ وجهي في عيون أولاد الحارة
الذين رأيتهم
بما ليسوا بحاجةٍ إليه
سيصبحون مجرد دويّ.

٥

السَّمَاءُ تسقط فوق رأسي
والأَرْضُ تلعبُ النرد
الغيمةُ ليست نبياً، والدُّخَانُ ليس الله
وأنا أكفنُ يدي بثوب الفضاء.

الذين نسوا لعينهم ارتدوا آخرَ قمصانهم
ثمَّ التَحَمَّتْ أشلاؤهم بي وكأنَّها تنتظرُ زائراً
والذين يصلحون للرؤية المشوشة
سيقرأون في كُتُبِ التُّرابِ
عن أطفالٍ من أغلفة الرصاصِ
ابتنوا لهم بيوتاً.

٦

وشششششششششششش
وشششششششششششش
كي لا يُقال:
ترك الدفترَ خالياً.

٢

إمرأة واحدة لا تكفي

١

من دون قلم يُشاكسُ أوراقي
أو استئذانٍ حائطٍ مُغفلٍ
تحت شجرةٍ لا فصولَ لها
جلستُ على فؤاد التُّراب
أكتبُ بأصابعي عن مدرسةٍ تعرَّت للهواء
وأنتقي من النجوم امرأةً واحدةً
تتسعُ لمناخٍ استهزائي ببطاقةٍ رعناء
مخدعها جيبُ أبي
الذي كساني بالجراح
كما كسَّته الحروق
هل سبقَ أنْ شبعتم بِدُخانٍ
أو رقصتم على قفزاتِ الشَّظايا؟
هكذا رقصت زينبُ ابنةُ جارنا
وأهدتني عينها الممثلةً بالدُّخانِ لأشبع.

٢

أشتمُّ صمغَ الجثثِ
أُقلِّبُ أوراقَ الحربِ
باحثاً عن اسمٍ له من أنفاسي بلُّها
أجلسُ على كرسيِّ بنصفِ رجلٍ
الدَّفترُ المحروقُ
الذي كان حُلماً
وبمهدِهِ ارتعشَ علمُ الصَّبَّاحِ
لم يجلسُ في حضني كعهده

ومدرّس اللُّغة
وجدته مُستنداً على عكّازِه
الذِّكرياتُ بلا أذرعِ
والطنينُ يصفقُ لعمرٍ غضّ
فتسقط من عكّازها
ذكرياتُ بلا أذرعِ.

أيكفي أن أقول:
باقيةُ الوردِ تُغري الألوان؟
أم الرغيفُ يُعريّ الدنيا من ملابسها؟
أساقطةُ هذه الدنيا؟
لماذا الصّفُ اليومَ فُبِحَ أخرس؟
دفترُ الرّسمِ مُجرّدُ دمايل
أحاولُ أن أرسمَ فيه
أوزةً تهربُ من ذكرٍ يلاحقها
أو حمامةً يجلسُ الشبّاكُ بحضنها
أحاولُ أن أتقبَّ الرّيحَ
لأرسمَ لمدرستي باباً
لكنها تسقطُ من عكّازها
بلا أذرعٍ لتتقبني
شهادةٌ مدرسيّةٌ عرقَ عليها الطينُ
المقلوغُ من صورِ الماء.

أيكفي أن أقول:
على باقيةِ الوردِ تحجّرتِ الألوان؟

٣

دار، دور، نار
نارٌ تأكلُ الرُّؤوسَ.
أحشَاءُ أعشابها نهبُ شرار

كلُّ شَيْءٍ تَلَّاشِي
أَيُّهَا الْأَرْضُ الْأَكْثَرُ صَبْرًا عَلَى حَمَمٍ تَلْتَهُمُ الْأَسْئَلَةَ.

٤

على أعناق النخيل
ضاع وجهي الذي يُقالُ له "الجمار"
كان يُصغي إليه النهرُ، واللّقاحُ أجنحةً منه.

٥

قاربي الورقيُّ يُجذّفُ بالموت
غيماتٌ بلعنَ أرياقهنَّ
وخبّانَ للظّاميِّ زهراتٍ سود.
قاربي الورقيُّ لم يرفع رأسهً عاليًا
لأنَّ الطيرَ بلا أجنحة
والنخيلَ أعقابُ سجائر
ولأنَّ السّماءَ لم تأسفَ كطفل
تأخذُه الجذوعُ إلى لقاحها
ماتَ مِشطُ أميِّ مُنتحرًا.

٦

ما زلتُ أكرهُ السّلاحفَ
التي على وشك أن تُصبحَ مدينةً
تُخرجُ من مؤخرتها الحشرات.

٧

يا قافلاتِ المدى،
لا تسرقنِ صوّتي

ما زلتُ أملكُ الشُّجيراتِ الزُّرُق
والمراكبَ التي ودَّعتها بناتُ البحار
ما زالت حولي الأذرعُ الزُّرُق
الذَّبْحُ الأزرقُ
ودميةُ زرقاءُ
على ثوبها بيتُ أزرُق
وبقايا شفةٍ مُزرقَّة
قُبلة نرجسةِ القبرِ.

يا قافلاتِ البارودِ،
خُذْني صوتي لمنْ لا ابنَ يأتيه ليلاً
وفي يديه مجمره
لمنْ لا تجتاحه رغبةٌ في امرأة
لمنْ خَبَرَ الحقولَ بما يترسَّبُ من نار
لقلبٍ ليس له إيقاعُ الشُّطَّانِ
وليس له أمُّ تُفَلِّتُ ابتساماتها
وتلعبُ كصديق
ولمنْ يخيطُ بأشلائنا درعاً
يتحصَّنُ بها المغفلونَ.

يا قافلاتِ المدى،
أعطين له كلَّ ما يمحي الأصداء
وفواختُ قُطِّعتِ رؤوسُهِنَّ
لكنهنَّ يحيينَّ معي أذرعاً
تحملُ الصَّفحةَ البيضاءً كأجنحة.

٣

أغنيةُ البرتقال

١

كَانَ الْعُودُ شَجْرَةً، كَانَتْ الشَّجْرَةُ زَحَامًا
وَرَفِيقًا آتَى إِلَيْهِ
كَلَّمَا غَنَّى الْمَطْرُ أَغْنِيَةَ الْبِرْتَقَالِ.

أَغْنِيَةٌ هِيَ الْآنَ
وَحَشُّ الْمُسْتَقْبَلِ.

٢

لِلْبُيُوتِ سَقُوفٌ
لِمَاذَا نَصَرُّ عَلَى أَنْ تَكُونَ
لِلْبُيُوتِ سَقُوفٌ،
وَلِلطَّرِيقَاتِ جَسُورٌ؟
لِمَاذَا نَعْشِقُ تَضَاعُفَ صَفِيرِ الْحُرَّاسِ،
وَنَقْفِزُ مِنَ النَّوَافِذِ لِلْمُشَاكَسَةِ؟
الْحُرُوبُ تَكَرَّرُ الشَّوَائِبَ
عَلَيْنَا إِنْ نَسَكَنَ الْخَلَاءَ
بِلا دَهْشَةٍ، أَوْ رَغْبَةٍ بِهَيْئَةِ بَابِ.

٣

ضَيْقٌ وَلَثِيمٌ هَذَا الَّذِي يُدْعَى الْفَضَاءَ
الَّذِي يَلْتَهُمْ قَطْعُ الْحَلْوَى
لَمْ يَدْرِ بِأَنِّي ضَمَمْتُ يَدِي حَتَّى أَدْمَيْتُ قَبْضَتَهَا
وَأَنَا أَتَخَيَّلُ أَنَّ الْخَشَبَ الْمَغْرُوسَ فِي رَاحَتِهَا
قِطْعَةٌ حَلْوَى
سَأُغْمِضُ عَيْنِي لِأَتَخَيَّلَ
أَنَّ الْجُرْدَ الْمَتَهَوَّرَ أَخِي الصَّغِيرَ.

يَا لَفِظَاعَةِ الْفَضَاءِ

الفِضَاءَاتُ السُّودُ لَمْ تَتْرَكَ
لِلزَّنَابِقِ رَغْبَةً أَنْ يُطَارِدَهَا أَخ
كِي تَتَقْتَحَ.

٤

الْفَضْلُ لِلْبَسَاتِينِ
الْمُطْرِقَةِ الرُّؤُوسِ
وَلِلْأَشْجَارِ الَّتِي نَسِيَتْ الْكَلَامَ
بَعِيدًا بَعِيدًا
الْعَيُونَ الرَّاحِلَةَ
لِنَوَارِسَ أَكَلَتْهَا الْكُوَاسِجُ
بَعِيدًا بَعِيدًا
بَعِيدًا بَرَاءَتِي، كَطِفْلِ بِلَا أذْرَعِ
رَحَلْتُ، تَلَوَّحَ لِي بِالصَّمْتِ.

٥

فُرْصَةٌ ضَنْيَلَةٌ أَنْ أُرَى بِخَزَانَةِ أَبِي بَعْضَ كَلِمَاتِ.
وَأَنَا أَعْدُ اللَّحْظَاتِ بِالْحَاحِ
وَأَتَسَاءَلُ: لَرَيْمًا لَهَا شَكْلُ نُجَيْمَاتِ
ثَلَاثَةٌ كَتَبَ مُنْدَسَّةً بَيْنَ مَلَابِسِهِ
فُرْصَةٌ ضَنْيَلَةٌ أَنْ أَحْصَلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَبِي
بَيْنَ وَرَقٍ لَهُ شَكْلُ تُرَابِ.
أَخَذْتُ أَتْرَاجِعُ، وَأَتَسَاءَلُ بِتْرَاجِعِ
أُتْرَاهُ يَنْتَظِرُ مِنِّي أَنْ أَكْتَشِفَ
الْمَوْتَ الَّذِي دَخَلَ بَيْتَنَا مِنْ دُونِ اسْتِئْذَانِ؟

٦

أَصِيلٌ، أَصِيلٌ، أَصِيلٌ

الذبابُ الذي خرجَ كسربٍ
من جذعِ عجوزٍ.

٤

مأوى

١

أسرَّحُ شعَرَ الطُّرقاتِ
من صُورِ تُشْبِهُ البحرِ
بينما الطَّائِراتُ تُسرِّحُ شعَرَ البيوتِ
وتُظفُّها من أبنائها.
الإبتكارُ أهدُ أوجهِ المستحيلِ
عُلبَةٌ فارغةٌ أتقبتُها
وهاتفَتُ طفلاً في مسرحِ
سرتي عَزَفَهُ على البيانو.
ولأنَّ الإبتكارَ أهدُ أوجهِ المستحيلِ
جمعتُ عظاماً منخورةً
نقرتُ عليها، ثمَّ عويتُ.

٢

الهواءُ، الهواءُ
من قالَ إنَّ الهواءَ متعةُ اليتيمِ؟
هذا الطُّمُوحُ المُكابِرُ
لمخلوقٍ مثلي
يحملُ الدُّخانَ ويَشُدُّ أزرِي
بالقربِ من شجرةٍ صافنةٍ

الأصفاذُ لها أشكالٌ أخرى
لربّما واجهاتُ منازل
تحلمُ بأقدارٍ تُعيدُها إلى هيئتها السَّابقة.

٣

ضبعٌ أفرعتهُ
حين اتَّخذتُ من السُّكونِ حقيبةً، ورحلت
النَّفْسُ أجملُ مأوى.

٤

القارُّ على جسدي
كالطَّريق
أوجعتهُ حين لم تتناثرُ قدماي
بينما الدُّمى في صندوق ليلي
أوجعتهُ العاصفة.

٥

لا بأسَ
لا بأسَ أيُّها الصَّبَّاح
إن صرتَ نجَّاراً
كلُّما أخذتَ مهارةَ التَّواييتِ
يُولدُ شراعٌ يأخذني إلى أشياءَ كثيرة:
عينِ حمامةٍ، دعاءٍ على فؤادِ عنب
مثلاً، نزهةٍ في صدرِ طائر.

٦

وحلمتُ

بكت أحلامٌ على وسادة الرَّمَلِ
الوسادةُ على مساءٍ رؤوفٍ بكتُ
ما زالتِ الرَّأْفَةُ تُعاني
لأنَّ الشَّارِعَ شيخٌ
والعصا على عجلٍ تلتهمُ الفراغَ.

٥

باتِّجاهِ الله

١

في دمي
حصارٌ وطحلبٌ
تطاولَ هو الآخر
بمكرٍ
وتخترٌ
ليُرْضِيَ اللهَ
فيما أوصاهُ
بالجارِ السَّابِعِ.

٢

لماذا الرِّجَالُ هواءٌ
والتَّاسِلُ نارٌ؟
ما معنى الإصغاءِ لطنينٍ؟

٣

أَتَقِيًّا أَيَّامِي، وَأَشْتَمَّ رَائِحَةَ وَلَاهِ الْعَهْدِ
وَمَنْ ضَلَّ النَّمْلَ لِيَبْقَى أَعْمَى
أَتَقِيًّا كُلَّ الْعَمِيَانِ
الَّذِينَ يَرْمُونَ لَدَمِي
كِسْرَةَ حَيَاةٍ
وَأَطْوِي ثِيَابِي عَنِ الْفَتَكِ
أَحَادِثُهَا:
أَلَا تَحْبِبُّنِ الْوَرْدَ الْأَحْمَرَ؟

٤

رِصَاصٌ
وَرِصَاصٌ بِصَحْنِ رِصَاصٍ
مُتَقَلِّ بِقِنَادِيلِ الْخِلَاصِ
خُذْ صَحْنَكَ الرَّصِيصِينَ
يَا عَلِيَّ
وَعُصْ بِتَوَاضِعِ
بِتَوَاضِعِ يَا عَلِيَّ
كَيْ لَا يَبَاتَ الرَّفِضُ جَامِحًا.

٥

يا...
أَيَّتْهَا الْأَشْلَاءُ
الْأَفْعَالُ خَمَرَتْ
وَالْأَقْوَالُ شَبَكَةُ عَنكَبُوتِ
أَيَّتْهَا الرَّاضِيَةُ الْمَرَضِيَّةُ
بِرَفِقِ اسْأَلِي فَاطِمَةَ، بِرَفِقِ:
أَهَذَا كِتَابُكَ الْجَدِيدُ؟

٦

ذاتَ عَيْدٍ
ذاتَ ضَمَّةٍ رِداءِ
ذاتَ...
ذاتَ صَمْتٍ يا وِلدِ
فلا تَتَيَقَّنْ
أَنَّكَ عَيْنُ ماءٍ
وَذاتَ حِجْرٍ
فحاذِرُ
أو اسكُبْ شِفْتَكَ
على سِحابَةٍ بِاتِّجاهِ اللهِ.

٦

قربان

١

الجُدْرانُ
بِأمانٍ نامتُ
عُيونُ المارَّةِ
كهلٌ على كرسِيِّهِ المُتحرِّكِ
أطفالُ ذبائحِ
باعَةٌ كأغصانٍ قُطِفَتْ من شُعاعِ
شَحَّادونِ بزمنهِمِ الهَرَمِ
ثديانِ افترقا عن جسدِ
كُلُّهُم، بِأمانٍ ناموا
الموتُ وحدهُ اليَقِظُ

مَنْ يَدْرِي، لَرَبِّمَا بَكْلٌ هَذِهِ الْوَلَائِمِ
لَمْ نَجْمَعْ مَا يَكْفِي لِعِشَاءِ الرَّبِّ.

٢

قَبْلَ أَنْ تَتَّحِنِي
أَوْ تَعْدَّ خَطْوَتَكَ
قَبْلَ أَنْ يَفْرَّ جَسْدُكَ كَالْمَجْنُونِ
أَوْ زَنْدَاكَ يَنْفِيَانِ نَفْسَيْهِمَا عَنْكَ
قَبْلَ أَنْ يَسِيحَ الطِّفْلُ مِنْ عَلَيْكَ
سَيَلْتَهُمُكَ الْبَعُوضُ
وَيَبْقَى ظِلُّكَ الطِّفْلُ
مَقْطُوعَ الْيَدَيْنِ
يُحَارُ
كَيْفَ يَجْمَعُ حُلْمَهُ الْمُتَقَنَّتِ.

٣

سَلْمَى جَذَعُ
مَرِيْمَ زَمَانِ
كَلْتَاهُمَا جَنَّتَانِ
عَالِقَتَانِ فِي الْمَكَانِ.

٤

اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ
أَيُّهَا الْعُصْفُورَةُ الْمُسَالِمَةُ
أَتُغْنِيَنَّ لَزَهْرَةٍ جَمِجَمَةٌ؟

٥

أَيَّ جَدِّيَ
الَّذِي تَرَدَّدَكَ الْحَقُولُ
شَعْرَكَ الْأَبْيَضُ
كَانَ مَتَاعًا
لِتَتَنَاسَلُ الْبُيُوتُ
وَالْيَوْمَ مَتَاعَ النَّارِ .

٦

لِمَنْ تَكْتَبُ الْيَوْمَ
لِمَنْ فِيهِ خَيْطُ دَمٍ؟
الْخَيْوُطُ عَبَاءُ فَاطِمَةَ الْوَرَقِ .

٧

تَجْمِيلُ الْمَوْتِ

١

الْهَوَاءُ قَطِيعٌ عَلَى أَجْفَانِ النَّهْرِ
وَمَا يَكْتَبُهُ الْمَاءُ مُجَرَّدٌ مَنْفَى
سَيُصْبِحُ الْمَاءُ رِصَاصًا
بَعْدَ قَلِيلٍ يُقَدِّمُ لَكَ النَّهَارُ نِسْيَانَهُ
وَتَبْقَى لُعبَةٌ مِنْ سَعَالِ .

٢

تَدْتَرِ بِكَ ظِلُّكَ
لَا تَسْخَرُ مِنْ جُنُونِهِ

لرُبَمَا الكُفْرُ
سَاعَةَ الغَسَقِ
يَتَعَلَّمُ مِنْكَ الكَلِمَاتِ النَّبِيلَةَ
ويكفرُ حينَ تتمزَّقُ رِيَّةُ
مَحْشُوَّةٍ بِالسَّرَابِ.

٣

أَوْشُوشِ الصُّورِ
كُونِي أُخْتِ قَدَمِي، كُونِي حُضْنَ المَدَارَاتِ
أَوْ زَهْرَةَ التَّعْبِ
يُوشُوشُنِي المُنْتَطَوِّلُ عَلَيَّ، وَالمُنْتَحَبُّ بِشُرُودِ حُنْجُرْتِي
أَتَكْسَرُ بَيْنَ قَبْضَتَيْنِ
بِيكِي عَلَيَّ حَجْرِي طِفْلُ
يَسْتَغِيثُ مِنْ وَجْهِي
الَّذِي تَهَاوَى فِي قَفْصِ شَبْحِ.

٤

الَّذِينَ يَلْتَفُونَ عَلَيَّ حِيَالِ المَوْتِ
الَّذِينَ يَتْرَصِدُونَ مَوْعِظَةَ التَّوَابِيْتِ
وَيَبْتَهِجُونَ فِي صَدْرِ المَعْنَى
الَّذِي تَوَرَّمَتْ أَدَمِيَّتُهُ، وَتَفَسَّخَتْ أَسْفَارُهُ
الَّذِينَ يَلْتَفُونَ عَلَيَّ ثَوْبِ نِقَائِي
تَوَسَّخُوا بِجُمَلِ
لَمْ تُتْرَجِمْ أَنْثَى المَطْرِ.

٥

مَصَابِيحُ الشَّارِعِ
تَجَاعِيذُ تَقْتَفِي خُطَى الأَعْمَدَةِ

أرْتَبُ حُجْرَةَ السَّاعَةِ
أُعَلِّقُ عَلَيْهَا جَسَدِي الطَّافِحَ بِي
أَيْنَ الشَّرَائِبِينَ؟
قَلْبِي لَمْ يُتَكْتَكِ
لَآنَ غُبَارَ المَصَابِيحِ
حَانِطٌ وَبَيْتِ.

٦

شُهْبٌ وَجُوهُهَا حُفْرَةٌ
أَكَانَتْ لَهَا غَوَايَةُ الرِّضَا؟
أَكَانَ لَهَا سَرِيرٌ يَفْرُدُ فِضَاءَ العِنَاقِ؟
أَكَانَ لَهَا خَاتِمٌ بِيَاضِ؟
شُهْبٌ حُفْرَةٌ يَعْبرُ عَلَيْهَا القَدْرُ
مِنَ دُونَ الكَثْرَاتِ
وَيُجَمِّلُهَا بِالمَوْتِ.

٨

حِصَارِ

١

ثِيَابِي فَوْقَ جِسْمِ الحَقِيقَةِ
أَزْرَارٌ بِلَا أَقْمِشَةٍ
أَتَفْتَحُ، أَعْدُّ عِظَامَ صَدْرِي
عِظْمَ الكَتِفِ مَنشَفَةً رَطِيبَةً
بَلَّلْتُ نَفْسَهَا بِدَبِقِ أَحْمَرَ
وَاسْتَعَطَفْتُ أَزْرَارَ الفَتَقِ

ثُمَّ تَسْتَرْتُ بِمَا لَيْسَ لَدَيَّ.

٢

عِنْدَكَ خِيوطٌ
فَصَلِّ دَمَكَ، وَاتْرُكْ لِي مَا نَسِيْتَهُ
يَا ابْنَ الْحَرْبِ، جَمْعُكَ تُقْبُ
مِنَ الْأَجْدَى بِكَ أَنْ تَنْشَطِرُ.

٣

الْمِفْتَاحُ هَيْكَلٌ عَظْمِيَّ
حَبِّدَا لَوْ تَصْرَخُ بِحُطَامِكَ
أَيُّهَا الْبَابُ الْعَالِقُ بِي
عَلَى سَفِينَتِكَ
عُلِّقْ رَأْسُ نُوحٍ.

٤

هَذَانِ التَّدْيَانُ أُلْسِينَةُ
وَفِمْ الْقَبِيلَةَ أُدْرَدُ
هَذَانِ الْجِرْحَانُ أَحْصِينَةُ
إِمَشِ وَحَدَكَ
وَاتَّقِنِ عَفْنَ الْخَارِطَةَ.

٥

عَقْرَبٌ هَذَا الْيَأْسُ
وَوَادٌّ عَلَى دَكَّةِ الظَّلَامِ.

٦

إِلْتَهَمَ، إِلْتَهَمَ
هذا الكلامَ النَّيِّءَ
واطهَ يَدَيْكَ، واجرِ
لم يبقَ ما يُكْمِلُ البدايةَ
إنَّها حفلةٌ حقلِ الألغامِ.

٩

إسراف

١

أسرفتُ اللَّيلةَ
صِرْفًا كانَ الحُزْنُ
أفكرُ ما الذي يفعله الآخرون
حين يفلتون من عرباتِ العمرِ
تحت سماءِ كافرة؟
أهكذا يُثمرُ اللَّيلُ لتتدلى جِراحي؟
أشعرُ بأنني مُسافرٌ، بين النَّارِ والهواءِ
حقيقتي جَسدي، ولي بعضُ ذكري
في العين التي التَّهَمَها الغراب.

٢

تلسعني دبابيرُ الدَّعواتِ
أتحصنُ من الغاراتِ بكهولةِ القرائينِ
وأُصليُّ من أجلِ درعِ فالتِ
كُلُّ شيءٍ مُتكالِبِ
حتَّى الذي يعوِّذني ينبح.

٣

أخيراً باتَ الخوفُ صديقي
رَبَّتْ على كتفه، وفَقَّأتُ عيني
خشيةً أن تُخيفه تحتَ رَمَشي الأزمنة.

٤

ما الذي تُريدُه الأوتاد؟
رُبَّما اللُّقيا
أو ما يُسمونه الصَّخب
الأوتادُ تجوع
كلُّما رأتَ رجلاً
انتالتَ عليه
يستيقظُ التُّرابُ من نومه
ويخنقُ نبضَ الممراتِ
فتدخلُ الجاداتُ حسرةً أفعالها.

٥

الصَّصافةُ تمشي
الصَّصافةُ حاملةً جسمَ الرِّيحِ
الرِّيحُ تُخشِشُ بتويجِ رَضِيعِ.

٦

عطسَ الهواءِ، عطستِ الإقفاصُ
فصارَ، بين جسدي والطَّيورِ، الهواءُ مزكوماً.

١٠ ذئبةُ يمام

١

أعضاؤه، لها طاسةُ التُّرابِ
الأرضُ رسمتُ شقوقاً، وقالت: أدخُلْ
أنا الذئبةُ الزرقاءُ.

٢

لم يدفنْ شهواته فوقَ رغيفِ الأوصالِ
دَلَقَ إدامه ومَطَقَ
رملٌ
أصابِعه تلعقُ اليمامِ.

٣

عُذركَ أبي، كان اسمُها شُجيرة
طفلةُ النسيانِ اقتلعتْ سرايينَ البحرِ.

٤

يا مَنْ تَمَوَّهَ للسُّقُوطِ
الذي يكتبُ عنكَ
يَشْتُمُ الطَّمِيَّ
ويكتبُ الهلوسةَ.

٥

رُقْعَةٌ

وَجْهَكَ رُقْعَةٌ

كُلُّكَ رُقْعَةٌ

مرسى المرأة رقعة

فاعذر مقصاً هائجاً.

٦

لَمْ أَطْلُبْ مَشُورَتَكَ

أَيُّهَا الصَّلْصَالُ

عَلَى السَّلَامِ

خُرُوجِي تَحَجَّرِ.

١١

تمساح

١

رُمَانَتَانِ عَائِدَتَانِ مِنْ صَيْدِ اللُّؤْلُؤِ

شَارِ بِيلاشِ تَمْسَاحِ الْمَسْتَقْبَلِ.

٢

في المزبلة

عثرتُ على الشَّيءِ الأكثرِ ملاءمةً لليُتِمِّ

تسللن إليه ليلاً ورِيقَاتُ الصُّحُفِ

ليأخذنَ مَشُورَتَهُ، وليحظيَنَ بِسَكِينَةٍ عَزَلتَهُ.

٣

الشَّمَالُ، الجَنُوبُ
تعاهدا على أن ينفخا طفولتي
بالونا للسَّيرِكِ.

٤

أَيُّهَا الْوَقْحُ الْمُتَبَلُّ
تحت مَن تَعَفَّفْتَ، ونَقَشْتَ على راحَتَيْكَ
وسامَ امرأَةٍ
قَبِيحٍ وَجْهَكَ يا وَطَنَ
بُثْبينةَ عَنقِ تجزُّهُ خِمائِرُ الخِرَافِ؟

٥

إِبنُكَ الشَّرْعِيُّ
بِلا شَرَعٍ
شاسِعٌ نَسِيانُهُ
إِعْتَبِرُهُ عابِرَ سَبِيلِ
وارمِ لهُ خَمْرَتَكَ
أَقْلَها
اعترافُ السُّكْرِ.

٦

إِحدى عَشْرَةَ تَمْرَةَ
على خَدِّ النَّدَى
عَجَبِي
هلِ البِكاءُ دَمٌّ آخِرُ؟

ماذا لو أضفتُ له
إثنتي عشرة ضفَّة؟
كوكبٌ خبَّطَ على بوابةِ تُقامر.

١٢

مراياتُ الفراشات

١

الصَّرِيرُ يجرحُ النَّافذةَ
ثلاثُ ساعاتٍ تجرُّ ذيلَ الحائطِ
خمسُ خانتِ خواءِ غرفتها
المُستلقي على البلاطِ
هربتُ يدهُ من النَّافذةِ
وَحَقَّقَتْ أمانِي الصَّرِيرِ
ساعتانِ أغمضتَا البوصلةَ.

٢

نفسي، سجائرُ نفسي
أدخُنُ ذاكرتي،
وأتحصنُ في مدخنةِ
وحدِي، إلهُ
في سماءٍ قذيفةِ.

٣

بَرْدٌ

يفتحُ أبوابه
من أين جئت؟
فُجِيبُهُ بَرْدُ
بَرْدُ
بَرْدُ
ذراعي قميصي
سأُتَغَطِّيَّ ...

تَغَطَّتِ الاحتمالاتُ
وأصِبتُ بِحُمَى العُرِيِّ.

٤

ليس ثَمَّةَ ما يُتَلَقَّ
تمثال الأرض
ليس ثَمَّةَ ما يَتَكَوَّرُ
أَيُّهَا العورة
الإنسانُ الذي تَقَمَّصَنِي.

٥

فراشةٌ، أعطيتُها إيقاعي
عيونُ الفراشاتِ في المرايا...
فراشاتٌ يترجّلن صهوةَ الندى
ويرقُصن
الله، الله، يا ولد
ما أثقلَكَ على ضمير العالم.

٦

فَكَرْتُ أن أصبحَ خنزيراً لأنجواً

لكنه ظللني
طفلاً موبوءً توجَّحَ نفسه واندلَقَ
لم أكنُ أدري أنني يقينُ الماء.

١٣ تأهيل

١

له بياضُ الأشياءِ
وسوادي، النَّقيضُ لأدميتي

هيأني للمحو
كما لو أنني الناقص.

٢

الأرضُ بابُ الله
مفتاحه
في كلِّ الحالات مشلولٌ.

٣

لمداواة الواقع
أحتاجُ أسبرينَ حقيقةً
وبحوراً
لأطهرَ أنبياءَ الكلام.

٤

يصرخُ بيَ نومي، أعتذرُ له
ولقدمي اللَّتَيْنِ شَلَّتَا
على يقينِ العبارة
تعتذرُ لي ماهيَّتي، وتكنسُني
مَنْ، يا معدنَ المكان
إلى أين؟

٥

خاصَّتِي قفلُ
دُعائيَ مشنقةُ
على بساطٍ مَخْلَبِ
كجلبابٍ وسخٍ طُوِيَتِ
علامَ كلِّ هذا القصفِ
ما دُمتُ لستُ إليَّ؟

٦

أنجبتُ توأمينِ
سمراءُ الحقِّ
أمِّي:
أنا والوطن.

١٤

زجاجُ السِّرِّ

١

في جيبِي سِوَاي
أَنْفُضُهُ
أَهْزُ التَّسَامِحَ
هُوَ الْآخَرَ
نِصْفَ آخَرَ
بِتَهْذِيبِ سَيِّئِ تِلَاشِي
مَنْ يَهْذِبُ مَوْمِسًا
عَالِقَةً فِي وَسْخِ مَقَاهِي الْحَارَةِ؟

٢

لَيْسَتْ لِلدُّودِ رِخْصَةٌ سِيَاقَةً
يَقْفُ بِمَحَطَّاتِ هَمْسِي
مَحْنَةً شَفْتِي
رِكْنَهُ الشَّجِيَّ
لَيْسَتْ لِلدُّودِ ضَحِيَّةٌ غَيْرِي
أَيُّهَا النَّهْرُ، أَلَاكَ رِغْبَةٌ انْتِهَاكِي؟

٣

ضَوْضَاءُ مَدِينَةٍ
أَدَارَ شَرْطِيَّ الْمُرُورِ يَدَهُ
لِيَنْظُمَ سِيرَ الْأَجْرَاسِ
النَّخَاسُ يُرْفَعُ يَدَهُ
لِيَصْفَعَ الْمَدِينَةَ.

٤

سنة تسترخي على المراهنة
وتقرأ التهويم
مزيدًا من التجاعيد
الأبقى الموت.

٥

أحصلُ أن يفيضَ قبركَ عليك؟
سورة الفاتحة أم الفواتح؟

٦

أو تتحدّثُ عن الورد؟
لحظة أن يراك
يتهشمُ زجاجُ السرِّ
(إسمي، الكتابُ المُستعار).

١٥

صلاةُ الموت

١

أمس، أخذتُه مدرستُه عاليًا
كغرة بياضٍ للصفِّ
وجنتاهُ اليومَ
سكرتان تمشي عليهما الجراح
عيناُه على رصيفِ عائمٍ
فلتتُ منهما الصُّورُ

شاردٌ ماؤهما حيثِ إليه آفلِ
تسدلان أوراقيهما لتتاسل الرماد
نافرٌ غضبهما المنكس.

عيناه المنكستان
سقطَ منهما الصَّحور
ومضى
كيفما يُومىءُ إليه الرَّبُّ.

٢

لا يمكنُ أن يموتَ وردٌ
لقد أخطأ القبرُ
لا تحمَّله وزرَ توريتك
شهيدٌ كونُ جناح، دمه قلادةٌ وعدك
ووعدك طرفةٌ رمش
أخطاءٌ وضوءُ الدلو
وتهتُّك المئذنة
حديداً لقاح دفتك
الوردُ لا يموت
حبيبتك مناديلُ القمح
ضياؤك من رافقها
وأجهدَ حقلاً يغازل
الصَّلَاة حياةٌ أخرى
صلينا ولبسناك
لبسناك وتاهت بنا الحجبُ
حتى خلنا أننا عرشك، فانتصبتنا
هوذا الموتُ يجرُّ بياضك
كله قبل أن يأكلك.

أُعْطِي نَفْسِي طِينَهَا
 أَنْفَخُ فِيهَا صَوْرَتَكَ
 كَيْ تُحَاذِرَنِي الدَّبَّابَاتُ؛
 أَلْقَتُلُ يَصْرُخُ
 وَالدَّبَّابَاتُ كَلَامُ
 مَاذَا أَقُولُ حِينَ تَمَحُونِي أَنْتِ؟
 أَفْتَحُ صَدْرِي، أَدْعُو مِيَاهَكَ
 فَيَفْقَسُ بَعْوَضُ الدَّبَّابَاتِ
 مِنْ دُونَ حَذَرٍ يَحْصُدُكَ
 رَبَّاهُ، حِينَ صَلَّى الْمَوْتَ لآلَاتِ الْحَرْبِ
 خَشِيْتُ عَلَيْكَ، خَشِيْتُ أَنْ يَلْبَسَكَ قُبْعَةً
 وَيَقُولَ اهْتَدَيْتِ
 كُلُّ شَيْءٍ لَا مُحَالَةَ زَائِلٌ
 رَبِّي، هَلْ مَنَحْتَ الْمَوْتَ أَلُوهُيَّتَكَ؟

إِجْهَرُ
 قَذِيفَتُكَ نَذِيرٌ
 قَالَتْ الْأَشْجَارُ كَفَرْتَ
 قَالَ النَّخْلُ
 وَسَمَّيْتَ نَفْسَكَ إِلَهًا؟
 بَلْ صَوَّرْتَنِي كَمَا قَالَ عَلَى صَوْرَتِهِ
 وَقَلْتُ اعْطِنِي يَدَيْكَ
 كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ أَنِّي قَبِيلَةُ الْقَنْابِلِ
 وَأَنَّ الْإِلَهَ الصَّغِيرَ
 يَسْبَحُ بِالشَّظَايَا
 وَحِينَ يَسْتَنْفِدُ
 أَشْلَاءَ قَطْرَاتِ
 أَلْعَابًا قَطْرَاتِ

مطرَ أصابع
تسجدُ الحربُ لإلهِ قتيل.

٥

أطفئوا الشَّاشَةَ
أطفئوا الأضواء
ربوبيَّتي
ستحرقُ الأشياء.

٦

أخرجوا
قاعةُ الدُّنيا تحطَّمت
رقبتي عن جسدي انفصلت.

المحتويات

(بحسب ترقيم الكتاب المطبوع)

٧	ألبحرُ ليس طفلاً.....
١١	إمرأةٌ واحدةٌ لا تكفي.....
١٧	أغنيةُ البرتقال.....
٢٠	مأوى.....
٢٣	باتَّجاهُ الله.....
٢٦	قربان.....
٢٩	تجميلُ الموت.....
٣٢	حصار.....
٣٤	إسراف.....
٣٧	ذئبةُ يمام.....
٣٩	تمساح.....
٤١	مراياتُ الفراشات.....
٤٤	تأهيل.....
٤٦	زجاجُ السرِّ.....
٤٩	صلاةُ الموت.....

Wafa' 'Abdur-Razzaq

MIN MUZAKKIRATI
TIFLIL HARB

maison naaman pour la culture
www.naamanculture.com